مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 20 العدد02 2024/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأنتروبولوجيا والأسطورة

Anthropology and myth

د. بن معمر عبد الله*

جامعة تلمسان– الجزائر

amrou20@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/12/30 تاريخ القبول: 2024/02/19

الملخص

الاقتراب من الأسطورة يصيب الدارس لها بالدوار لأن هناك عماءا نظريا فيما يقول ليفي – ستروس وهذا العماء ناشئ عن طبيعتها ذاتها. فهي أولا عصية على التحديد بسبب اقترابها من أشكال أخرى تشبهها. وثانيا إنها مليئة بالرموز الغنية بالدلالات. وثالثا لأن الواقع يختلط فيها بالخيال. ولكن مع ذلك فقد شكلت حقلا مفضلا للأنتروبولوجيين الذين اهتموا بدراستها ومحاولة فك ألغازها وكشف أسرارها. وقد اختلفت الرؤى والمقاربات من عالم إلى آخر. وكل المدارس الأنتروبولوجية تقريبا أولتها عناية خاصة، هكذا نجد المقاربة التطورية مع تايلور وسبنسر والمقاربة الطبيعانية مع الفيلولوجي ماكس مولر، وهناك المقاربة الوظيفية ثم المقاربة النفسية وأخيرا المقاربة البنيوية التي اعتمد صاحبها منهجا صارما في تحليل الأساطير ولذلك تعتبر هذه المقاربة رائدة في ميدان الأساطير.

الكلما المفتاحية: الانثروبولوجيا –الاسطورة

Abstract:

Approaching the myth makes the student dizzy, because there is a theoretical blind, as Levy-Straus says, and this blindness stems from its very nature. First, they are difficult to locate because of their proximity to other similar shapes. Secondly, it is full of symbols that are rich in semantics. And thirdly, because reality is mixed with imagination. Nevertheless, it was a

* **المؤلف المرسل**: د بن معمر عبد الله، **الايميل**: **amrou20@yahoo.fr**

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

favorite field for anthropologists who were interested in studying it and trying to decipher its mysteries and reveal its secrets. The visions and approaches differed from one world to another. Almost all anthropological schools have given them special attention, thus we find the evolutionary approach with Taylor and Spencer and the naturalistic approach with the philologist Max Muller, and there is the functional approach, then the psychological approach, and finally the structural approach, whose owner adopted a strict approach in the analysis of myths and therefore this approach is considered a pioneer in the field of myths.

Keywords : anthropology - myth

مقدمة

طبيعة الأسطورة ووظيفتها ومكانتها داخل الكل الاجتماعي، هو أحد المشكلات الأكثر تعقيدا في الأنتروبولوجيا (والأنتروبولوجيا الدينية تحديدا) التي جعلت من الأسطورة حقلها المفضل للبحث، كلود ليفي–ستروس أشار إلى استمرار عماء نظري في هذا الميدان، والذي يجعل تعريفا مرضيا لها مستحيلا تقريبا. ولذلك يصرح ليفي–ستروس أن هناك خمسين سنة، تستمر الإتنولوجيا في الرضا بعمائها. بتجديدها التأويلات القديمة: أحلام الوعي الجمعي، تأليه الشخصيات التاريخية أو العكس. بطريقة ما عندما نتصور الأساطير، يبدو أنها تؤول إلى لعبة مجانية، أو إلى شكل خشن من التأمل الفلسفي. ومع ذلك فإن العماء الذي يتحدث عنه ليفي–ستروس لم يمنعه مع أنتروبولوجيين آخرين من دراسة الأسطورة ومحاولة فك رموزها وتبيان أسباب نشأتها ووظائفها. ترى كيف تنشأ الأساطير؟ وما هي الوظائف التي تؤديها؟

أولا: ماهية الأسطورة

ما هي الأسطورة؟ "إنني أعرف جدا ما هي، بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سئلت، وأردت الجواب، فسوف يعتريني التلكؤ". هكذا يعترف أحد الدارسين محاكيا أوغسطين في اعترافاته بصدد الزمان.

بكل تأكيد، إننا نفهم جيدا ماذا تعني كلمة أسطورة ، نعرف ما هي، على مستوى المعيش اليومي حيث الكل يحتفظ بذكريات الطفولة، قصة عاطفية تنتقل من جيل إلى جيل، ترتد بذلك إلى غاية ماض أصلي، غير محدد: كان ذات مرة، قبل خلق العالم، ذات يوم. ولكن عندما يتعلق الأمر بتفسير السبب،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وتحليل الآلية، ووصف الوظيفة، كل شيء يتبدد وينحل كما لو أن الأسطورة يجب بطبيعتها أن تضلل مؤوليها. هكذا، فإن التقليد الفلسفي مثلا، استخدم دائما الأسطورة كحكاية استدلالية، حاملة لدلالة غامضة حيث يكون المنهج التأملي عاجزا عن إعطائها، هذا هو عمل أفلاطون، بالنسبة له الأسطورة تكمل الجدل الضعيف. يقول ميرسيا إلياد: "لعل من الصعب إيجاد تعريف للأسطورة يقبله جميع العلماء ويكون في نفس الوقت في متناول غير أصحاب الاختصاص ولعلنا نتساءل من ناحية أخرى، هل يمكن إيجاد تعريف واحد شامل لجميع نماذج الأساطير وجميع وظائفها، في جميع المجتمعات القديمة والتقليدية؟"(ميرسيا إلياد، 1991، ص9) ومع ذلك يقدم إلياد تعريفا يراه أقل التعريفات نقصا لأنه أوسعها هو التعريف التالي: "الأسطورة تروي تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدئي، الزمن الخيالي، هو زمن "البدايات" بعبارة أخرى، تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون مثلا، أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من نبات أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسسة، إذن هي دائما سرد لحكاية "خلق" تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء، كيف يبدأ وجوده، لا تتحدث الأسطورة إلا عما قد حدث فعلا، عما قد ظهر في امتلائه. أما أشخاص الأساطير فـ"كائنات عليا" نعرفهم بما قد صنعوه في الأزمنة القوية، ذات التأثير الفعال، وهي أزمنة البدايات فالأساطير تكشف، إذن، عن الفعالية المبدعة لهذه الكائنات العليا، وتميط اللثام عن قدسية أعمالهم، (أو عن مجرد كونها أعمالا خارقة). باختصار، تصف الأساطير مختلف أوجه تفجر القدسي (أو "الخارق") في العالم. وليس لهذا القدسي ما "يؤسس" للعالم حقا ويجعله على ما هو عليه اليوم. أكثر من ذلك عقب تدخل الكائنات العليا، صار الإنسان إلى ما صار إليه اليوم، كائنا فانيا، ذكرا أو أنثى، كائنا ثقافيا".(ميرسيا إلياد، 1991، ص10)

وهكذا فإن الأسطورة حسب إلياد هي "تاريخ مقدس، تاريخ حقيقي لأنها ترجع دائما إلى حقائق.(ميرسيا إلياد، 2004، ص22) إنها قصة تروي بوادر الكائنات العليا وتجلي قدرتهم ولذلك تصبح النموذج المثالي لجميع أوجه النشاط البشري المحمل بالمعنى. فالبدائيون يأتون أعمالا كان يأتيها أسلافهم الميتيقيون، ولذلك فإن الوظيفة الرئيسية للأسطورة هي الكشف عن نماذج مثالية لجميع الطقوس وجميع أوجه النشاط البشري المحمل بالمعنى كالغذاء والزواج والعمل والتعليم والفن والحكمة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأسطورة هي واسطة بين الكلام الدنيوي، الحوار، والكلام المقدس، مخصص للمطلعين على الأسرار الدينية. هذا المنفذ للأسطورة على الدين يبقى مألوفا داخل التأويلات التي أعطيت لها منذ ميلاد الأنتروبولوجيا، سواء لأن المؤولين هم ذاتهم، يرون فيها الاختبار العلمي والتاريخي لإيمانهم، أو لأن عدم تحديد الأسطورة يوقظ صدى وعي ديني قديم. في هذا المعنى انخرط يونغ، وكيرينيي، وإلياد في تحليلات غير محددة للأساطير المأخوذة دون تمييز من كل الثقافات واستخلصوا نتائج متطابقة، منشئين نماذج (نماذج يونغ) مشتركة لدى الإنسانية بأكملها. بالنسبة لهم، كما بالنسبة للكثير من المختصين في الأساطير خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كل أسطورة تحكي تاريخ بداية ما، وتحيل إلى بدايات الإنسانية التي كان عليها وبسرعة أن تجد تنظيما للزمن، وللفصول وللكوارث، أي للطبيعة بشكل عام. حسب هذا التأويل، الأسطورة لها علاقة إذن بالأبدية، بالتكرار، بالطقس. إنها تغدو شكلا أساسيا من أشكال المقدس. ستغدو إذن شيئا سابقا للدين. بعد العماء الذي وصفه ليفي–ستروس تكون منهج صارم لتحليل الأساطير بفضل ليفي–ستروس وكذلك دومزيل. ما وراء هذا المنهج نلاحظ إرساء نظرية حول وظيفتها. البنيوية هي التي أبعدت الفرضيات الفلسفية، وحللت بصرامة الأساطير. على أساس أنها خطاب. جامعة أولا عناصر النص، وبانية المقاطع، ومنشئة العلاقات التي تكون البنيات، والتأويل يجري بعد ذلك.

يقدم فراس السواح تعريفا للأسطورة يقوم على النقاط التالية:

1- الأسطورة شكل من أشكال الأدب، فهي قصة تحكمها قواعد السرد القصصي.

2- الأسطورة قصة تقليدية ذات ثبات نسبي تتناقلها الأجيال شفاهيا وكتابيا.

3- الأسطورة لا يعرف لها مؤلف معين، لأنها ليست نتاج خيال فردي، بل ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها.

4- يلعب الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة وإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملا لا رئيسا.

5- تتميز الموضوعات التي تدور حولها الأسطورة بالجدية والشمولية. وذلك مثل التكوين والأصول والموت والعالم الآخر، ومعنى الحياة وسر الوجود وغير ذلك من المسائل.

6- تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس هو الزمن الخالي، ولذلك فإنها تتمتع بالصدق لدى المؤمنين بها.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

7- ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه.

وينتهي فراس السواح إلى التعريف التالي: "الأسطورة هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يكشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان".(فراح السواح، 1997، ص 12-14)

وهذه العناصر تمكن من تحديد الفرق بين الأسطورة وما يشبهها من فنون حكائية مثل الخرافة والحكاية الشعبية والملحمة. فالفرق بينها وبين الخرافة هو أن هذه الأخيرة تعتمد على أبطال رئيسيين من البشر أو الجن في حين أن أبطال الأسطورة هم الآلهة أو أنصاف الآلهة، أما البشر فيظهرون فيها بشكل عرضي.

كما أن الخرافة تكون دائما مثقلة بالخوارق والمبالغات في حين تعبر الأسطورة عن تساوق عميق في حركة الآلهة والطبيعة ومجرى الأحداث. وتكتسب الأسطورة موقعًا دينيا مقدسا في حين لا ترقى الخرافة إلى هذا الموقع إذ هي حكاية خيالية لا تمتلك علاقة عضوية مع الدين.

أما الفرق بين الأسطورة والحكاية الشعبية هو أن هذه الأخيرة تخلو من دور مركزي للآلهة وهي حكاية عادية لا تحمل طابعا مقدسا أو دينيا بل تتصف بأنها حكاية دنيوية بسيطة متداولة تعني بالأمور اليومية وتخلو من الموضوعات المصيرية الكبرى التي تعني بها الأسطورة.

أما ما يميزها عن الملحمة فهو أن هذه الأخيرة حكاية طويلة تتميز بالاسترسال والإسهاب، وتنظم في الغالب شعرا، ويكون البطل الملحمي إنسانا.

ثانيا: الخصائص الأساسية للأسطورة

يذكر كلور ريفيير مجموعة من السمات تميز الأسطورة هي:

الحكاية الخيالية: الأسطورة تتميز بشكلها الحكائي أو السردي وتلعب فيها الشخصيات الخيالية دور البطولة.

في السرد يتداخل التاريخ والخرافة والأخلاق من غير تفسير للمعنى، باعتبارها حكاية مجازية، فإن الأسطورة تعتمد في الأساس على اللغة التي تفرض عليها شكلا ما وعلى الكلمات التي تستخدمها كما لا يتم التعبير عن الفكر الأسطوري فقط في الأساطير، بل أيضا في التعليقات المصاحبة للممارسات.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

في الغالب يكون مصدر الأسطورة شفهيا، وعندما يتم تدوينها يتم ترديدها بشكل شفهي أثناء أداء الطقوس.

الأسلوب الرمزي –الاستعاري: تعتبر الأسطورة سواء كانت أحادية الرمز أو متعددة الرموز كأي عمل أدبي مكتوب أو شفهي، يتطلب في كثير من الأحيان، تفسيرا لخلفيته الشعرية، وللكم الهائل من الاستعارات التي تكتظ بها سطورها، وتعتبر الأسطورة وسيلة لفهم العالم من خلال الرموز.

تعدد المعاني: من دون شك للأسطورة دور في تفسير العالم، ولكن تحت أشكال ملغزة ورمزية أو معيارية. وصعوبة فك الأسطورة تأتي من كون الرسالة وما وراء الرسالة، لا ينفصلان فيها، ومن كون المعاني الكونية والسياسية والدينية تتداخل فيها. وأخيرا من متغيرات، وخلل، وتزوير يؤدي إلى تشويش التفسيرات.

خارج النطاق الزمني: لكونها غير محددة زمنيا، تتعالى الأسطورة على التاريخ، إنها تنتمي لكل الأزمان ويمكنها أن تنفصل عن أي موقف تاريخي، الأسطورة الرومانية مثلا تصلح للرومان كما تصلح لشارلمان وميكافيل والثوار الفرنسيين. وتعد الأسطورة عودة للقيم البطولية الأولية الموجودة في كل ثقافة.(Claude Rivière, 1997, p 53-54)

مجال المشاعر: بشأن الأساطير طرح روجي كايوا ثلاثة تساؤلات مهمة: لماذا تتمتع الأساطير بتأثير قوي على المشاعر؟ إلى أي مدى يحدث استدعاء للمشاعر والأحاسيس والرغبات والنفور؟ ما مستويات الرضا والإشباع التي يمكن أن تصل إليها؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات سنضطر إلى اللجوء إلى أطروحة بيولوجية، يتم استثمار المشاعر من قبل الأساطير، لأنها تذكرنا بالصراعات الأولى التي سببتها قوانين الحياة البدائية، ولأن تجسيد العالم آنذاك عن طريق الخيال يزيد من قوة هذا التأثير. إن الأسطورة سواء كانت مأخوذة عن أصولنا أو من أي مكان بعيد، تذكرنا بالإنسان البدائي الهمجي آكل لحوم البشر، والزاني وقاتل أبويه.

والأسطورة تهدف أيضا إلى التأثير على مخاوف المستقبل. "إن أكثر الأساطير بقاء هي التي تستطيع تقديم تفسير ووسيلة لمواجهة أحداث الحياة ومصاعبها".(كلود ريفيير، 2015، ص 102)

منطقية الخيال: نقبل الأسطورة كواقع وحقيقة، ورغم كونها لا تجيب عن تساؤلات منطقنا العقلاني، فإنها تتضمن رغم ذلك عقلانية تتعلق بمنطق التواصل الاجتماعي وآلياته الأخلاقية. أما الجوانب المتعلقة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بالخيال وبالمستحيل، فإن الأسطورة تقوم باستحضارها إلى العالم الواقعي عن طريق إخضاع تناقضات الحياة دون معاناة مؤلمة.

اختلافات الموضوع ومستويات التعلم:

إن الأسطورة وإن كانت تختص بعلم نشأة الكون، شارحة لخلق الكون (سفر التكوين في التوراة) وإن كانت تختص بعلم معرفة الأسباب والقاعدة الأساسية فإنها مبررة لنظام الأشياء (أصل الموت، أصول السلالات، ضرورة الختان...) (كلود ريفيير، 2015، ص 103-104)

الأسطورة والطقس:

هناك ارتباط وثيق بين الأسطورة والطقس. فهي "تبدو في الغالب ملبسة بطقس" فيما يقول روجي كايوا، ويضيف "الطقس يحقق الأسطورة ويمكن من عيشها، لهذا نجدهما في الغالب مرتبطين والحق يقال إن اتحادهما لا تنفصم عراه. وفي الواقع طلاقهما كان دائما بسبب انحطاطهما. بمعزل عن الطقس، الأسطورة تفقد سبب وجودها، على الأقل أفضل قدرتها على الحماسة، قدرتها على أن تعاش. (Roger caillois, 1938, p. 29)

ثالثا: الميثولوجيا تعريفها وظهورها

الميثولوجيا Mythology هي علم دراسة الأساطير ويتكون هذا المصطلح من مقطعين: ميت Myth المشتق من الجذر اليوناني Muthas ويعني قصة أو حكاية، أو من الجذر Mythos، ويعني قصة غير واقعية، وLogy ويعني العلم أو الدراسة العلمية وهو مشتق من الجذر Logos الذي يشير في الفلسفة إلى المبدأ العقلي. وبذلك تكون الميثولوجيا هي الدراسة العلمية للأساطير وفهمها وفق القواعد العلمية المتبعة، وقد كان أفلاطون أول من استعمل تعبير Muthologia للدلالة على فن رواية القصص، وبشكل خاص ذلك النوع الذي ندعوه اليوم بالأساطير ومنه جاء تعبير ميتولوجيا.(خزعل الماجدي، 1998، ص 65) والميتولوجيا علم معاصر لا يختلف عن بقية العلوم الإنسانية . لكن من المهم الإشارة إلى أن الأساطير استرعت المفكرين منذ القدم، فقد درسها زينوفون اليوناني مبكرا وانتقدها. وقد رأى يوهيميروس

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أن الأساطير هي تاريخ مشوش مقنع فالآلهة كانت في بادئ الأمر رجالا، ومع مرور الزمن وبعد فترات من التمادي في الخيال اكتسب هؤلاء الرجال عظمة وجلالا وتغيرت أشكالهم حتى تحولوا إلى أرواح مقدسة.

ثم جاءت الدراسات العلمية الحديثة للأسطورة وأصبحت الميثولوجيا علما عصريا متخصصا مهتما بالأسطورة ودراستها، ويرى البعض أن هذا العلم يعد فرعا من الأنثروبولوجيا. ولكن هناك من ينسبه إلى علم دراسة الأديان أو علم الفولكلور.

ولقد تطورت الميثولوجيا كثيرا خلال القرن التسع عشر، وظهرت منذ نهاية هذا القرن مدارس متعددة في هذا العلم تنطلق كل منها من طريقة في دراسة الأساطير وتفسيرها والبحث في أسبابها وبواعثها وتشكلها ومقارنتها.

مدارس الميثولوجيا:

تنقسم مدارس الميثولوجيا إلى فرعين كبيرين هما المدارس القديمة والمدارس الحديثة.

أ– المدارس القديمة: تضم كل الآراء والاتجاهات التي فسرت لأسطورة ودرستها منذ الإغريق وحتى عصر النهضة الأوربية.

المدرسة التاريخية: يعود أول اهتمام بالتمييز بين الأسطورة والتاريخ لليوناني يوهيميروس Euhemeros في القرن الرابع قبل الميلاد الذي رأى في الأسطورة تاريخا مشوشا وقال بأن الآلهة كانوا في البداية أناسا عظاما تحولوا مع الوقت إلى أرواح مقدسة. هذه النظرية لاقت قبولا في ذلك الوقت وروج لها الروماني إنيوس فاشتهرت كثيرا.

المدرسة المجازية: يعتبر ثياجينس الريجي مؤسس الفكرة التي قالت بأن الأسطورة قصة مجازية وليست قصّة أدبية، وتنطوي على رموز ومعان أدبية وغايات دينية ومعان فلسفية وإشارات زمنية ثم نسي الناس تلك المجازات والرموز وتعاملوا معها على أنها حقائق، فالإله كرونوس هو غول يرمز إلى الزمن الذي يبتلع أبناءه الناس.

المدرسة العقلية: هذه المدرسة فسرت الأساطير عقليا وقالت إنها إسقاطات عقلية من خلال اللغة على الواقع تم رفعها بحيث ابتعدت عن هذا الواقع. ويعتبر زينوفان رائدا لهذه المدرسة وسقراط وبعض الفلاسفة الرواقيين.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المدرسة الطبيعية: هذه المدرسة مهدت لظهور الفلسفة اليونانية، فقد قالت على لسان فريكوديس السوري في القرن السادس قبل الميلاد بأن عناصر النار والهواء والماء نشأت من كرونوس وهو الزمن ثم نشأت الآلهة فيما بعد من تلك العناصر الثلاثة،

المدرسة الدينية: هذه المدرسة ظهرت مع رسوخ الفلسفة المسيحية التي اعتمدت في البداية على آراء يوهيميروس ، ثم وجدت للأساطير تفسيرا من خلال الكتاب المقدس، حيث قالت أن جميع الأساطير كانت موجودة في الكتب المنزلة وتم بعد ذلك إخفاء الحقائق المثقلة بها، فشخصية ديوكاليون هي اسم آخر من أسماء نوح. (خزعل الماجدي، 1998، ص 68-70)

وقد سادت في عصر النهضة محاولات جريئة لتفسير الأسطورة، اعتمد بعضها على ما كان اليونان قد طرحوه سابقا، وكانت هذه المحاولات بمثابة التمهيد لظهور المدارس الميثولوجية الحديثة.

ب- المدارس الحديثة:

المدرسة اللغوية: هذه المدرسة ترجع إلى ماكس مولر الذي اعتمد في كتابه الأساطير المقارنة على المبدأ القائل باستحالة فهم الأسطورة فهما صحيحا، ما دمنا ننظر إليها على أنها ظاهرة منعزلة. على أننا من جهة أخرى لن نستطيع الاسترسال في بحثنا بأية ظاهرة طبيعية، أو بأي مبدأ بيولوجي. فليس هناك أي تماثل حقيقي ين الظاهرة الطبيعية والظاهرة الحضارية، ولذا يتحتم دراسة الحضارة الإنسانية باتباع مبادئ ومناهج خاصة، ولم يجد مولر أفضل من الكلام الإنساني مرشدا لنا في هذه الدراسة. فقد كان مقتنعا بفضل اشتغاله بعلوم اللغة والفيلولوجيا بأن دراسة اللغة هي الوسيلة العلمية لوحيدة لدراسة الأساطير. والصلة بين اللغة والأسطورة ليست مجرد صلة وثيقة، فإن ما بينهما هو توافق فعلي. ولو تسنى لنا فهم طبيعة هذا التوافق فإننا نكون قد اهتدينا إلى مفتاح العالم الأسطوري. وتضمن الربط بين اللغة والأسطورة مشكلة كبرى فانحدارهما من أصل واحد أمر لا شك فيه، ولكنهما غير متماثلين في تكوينهما بأي حال. إذ يظهر في اللغة على الدوام طابع منطقي بمعنى الكلمة. أما الأسطورة فتبدو وكأنها تتحدى كل القواعد المنطقية، فهي مشوشة متقلبة ولا عقلية. فكيف نستطيع الربط بين هاتين الظاهرتين غير المتوافقتين؟

ابتكر ماكس مولر وآخرون ينتمون إلى نفس مدرسة الأساطير المقارنة حلا بارعا. فقد ذكروا أنه من الصحيح أن الأسطورة لا تعد أكثر من مظهر من مظاهر اللغة، ولكنها من مظاهرها السلبية، لا الإيجابية. فالأسطورة تمثل جانبها السيئ، أكثر من تمثيلها لجانبها الخير، وتتميز اللغة بغير شك بأنها منطقية وعقلية،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ولكنها من جهة أخرى مصدر أوهام وأباطيل، إذ انبعث أخطاء من أعظم ما أنجزته اللغة ذاتها. فاللغة تتألف من كلمات عامة، ولكن التعميمات تدل على الغموض والإبهام على الدوام. وتعدد المعاني والمرادفات في الكلمات ليس من المظاهر العرضية للغة، بل هو ناتج عن طبيعتها الخاصة. ونظرا لأن الأشياء تتصف بأكثر من صفة فإنه أعطى للاسم الواحد أكثر من اسم. وعراقة اللغة تتناسب تناسبا طرديا مع كثرة المترادفات. ولو استمر استخدام هذه المترادفات من جهة أخرى، فإنه سيؤدي بالضرورة إلى ظهور وفرة من كلمات الجناس، فلو أسمينا مثلا الشمس خمسين اسما مختلفا تعبر عن خصائصها المختلفة، فإن بعض هذه الأسماء سيستعمل للدلالة على أشياء أخرى يتصادف دلالتها على نفس الصفات. في هذه الحالة ستشترك أشياء مختلفة في نفس الاسم. وهذا يؤدي إلى ظهور الجناس. وهذه هي نقطة ضعف اللغة، وتمثل في الوقت نفسه الأصل التاريخي الذي انبعثت من الأسطورة. وهكذا فإن تسمية نفس الشيء باسمين مختلفين قد أدى إلى انبعاث شخصيتين مختلفتين من الاسمين. وهذا أدى إلى حدوث ظاهرة الأساطير. (أرنست كاسيرر، 1975، ص 37) يقول ماكس مولر في ما ينقله عنه أرنست كاسيرر من كتابه " محاضرات عن علم اللغة": "دعونا نتأمل، إذن، أنه مرت، بالضرورة، حقبة من تاريخ جنسنا البشري كان ينبغي فيها التعبير عن الأفكار كافة التي تخطت الأفق الضيق لحياتنا اليومية بواسطة الاستعارات، وأن هذه الاستعارات لم تكن قد تحولت بعد إلى ما تمثله عندنا، أي مجرد تعبيرات سائرة وتقليدية، بل كانت تحس وتفهم نصفها في معناها الأصلي ونصفها الآخر في سمتها المعدلة... وحيثما تستعمل أي كلمة، كانت تستعمل في البداية استعاريا، دون تصور واضح للخطوات التي أفضت من معناها الأصلي إلى معناها الاستعاري، حينئذ يبرز خطر الأسطورية. وحيثما لا تنسى تلك الخطوات وتحل محلها خطوات سطحية، يكن لدينا أسطورية، أو إذا جاز لي القول، تكن لدينا لغة مريضة، سواء أكانت تلك اللغة تشير إلى مصالح دينية أو دنيوية...وليس ما يسمى بالأسطورية في العادة سوى جزء من طور أعم بكثير جدا لا بد أن تمر به اللغة برمتها في زمن أو في آخر".(أرنست كاسيرر، 2009، ص 154-155) "وهكذا تبدو لنا الأسطورة من خلال هذا التصور ظاهرة مرضية من حيث أصلها وماهيتها على السواء. إنها مرض يبدأ من ميدان اللغة، وينتشر بتأثير عدوى خطيرة في جسم الحضارة الإنسانية كلها". (أرنست كاسيرر، 1975، ص 37)

المدرسة الأنتروبولوجية:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تايلور: لقد حاول تايلور تفسير نشأة الأساطير، في كتابه الثقافة البدائية. فهو ينطلق من كون الأسطورة في أدواتها وأولى تطوراتها تنتمي إلى الحالة الأولية للفكر الإنساني مشابهة لحالة الطفل. بعض الانتقادات أخذت دراسة علم الأساطير بالعكس، وهذا صحيح، لم تعرف تقدير الخاصية الطفولية لأفكارها من خلال الأشكال المألوفة التي أعطاها إياها الشعر أو تحت التنكر في تواريخ ولكن بقدر ما نقارن التخيلات الأسطورية لمختلف الأمم من أجل تمييز الأفكار المشتركة التي تنتج عنها، بقدر ما ينبغي أن نفترض أن في الطفولة نكون على حافة منطقة الأساطير. في علم الأساطير الطفل بلا ريب هو أبو الرجل، وإذا كنا في المفاهيم الغريبة والأساطير الفظة للقبائل غير المتحضرة نجد الميتولوجيا في أشكالها الأكثر وضوحا والأكثر بدائية، فهذا يقودنا أيضا إلى اعتبار الهمجي كممثل لطفولة الإنسانية. على هذا الميدان، الإتنولوجيا والميتولوجيا تتعاونان، ذلك أن التطور الميتيقي يكون جزءا مهما من تطور الثقافة العقلية. إذا كان الهمجيون، الأعراق التي تمثل اليوم الثقافة البدائية بشكل أفضل، تقدم لنا في الشكل الأكثر تمييزا والأقل تشويشا، المفاهيم الميتيقية البدائية التي تطورت في مجرى الحضارة، فإن من يريد دراستها معه الحق في الرجوع إلى تطورها. الميثولوجيا الهمجية تؤخذ كأساس، وأساطير الأعراق الأكثر تحضرا يمكن أن ينظر إليها كإنتاجات صدرت عنها وإن كانت أكثر تقدما من الناحية الفنية. هذه الطريقة في العمل تتكيف مع كل فروع هذه الدراسة تقريبا، وتتكيف خاصة مع هذه التخيلات اللامعة والشعرية التي يمكن أن نسميها أساطير الطبيعة.

ويجد تايلور في الإحيائية مفتاح السر الذي يفسر نشأة الأساطير، فهو يرى أن من بين الأسباب التي تتحول إلى أساطير وقائع التجربة اليومية، يجب أن نضع في البداية كل الاعتقاد في حياة الطبيعة ككل، والتي في أعلى درجاتها الكائنات المافوق طبيعية، تحلق في الجو تارة، وتارة تسكن الأشجار والصخور أو شلالات الماء، كل هذه المفاهيم التي تمنح لدى الإنسان شخصيته الخاصة للأشياء المادية تظهر تحت عدة أشكال في الميثولوجيا. الأصل الإحيائي للأساطير الطبيعية تبدو بوضوح في المجموعة الكونية الكبيرة للشمس والقمر والنجوم. في كل الفلسفات البدائية الشمس والقمر هما كائنان حيان ولهما طبيعة بشرية فهما يختلفان من حيث الجنس. القمر ذكر والشمس أنثى.

الأساطير قامت على أساس تشخيص ظواهر الطبيعة، هكذا نجد فيما يذكر تايلور حسب ما جاء في كتاب ألف ليلة وليلة أن أعمدة الرمال في الصحراء ترتفع بفعل هروب جني شرير، وكذلك أعمدة الماء هي من فعل الشياطين. وبعض الشعوب البدائية ترى في قوس قزح وحشا حيا. إن فكرة أن الطبيعة مسكونة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بالجن، مصدر الحكايات بلا نهاية لدى كل الشعوب، ترتبط بالإحيائية تصل إلى حد التشخيص. فالاعتراف بأن في أبسط أحداث هذا العالم نتيجة فعل كائن حي وإرادته هو واقعة مرتبطة جدا بهذه الظاهرة حيث لا نرى فيها لا شيئا عرضيا ولا افتراضا مجانيا، بفحص مذهب الإحيائية هذا ندخل ميدان الفلسفة أو الدين، ليس لنا هنا سوى الاقتناع بتأثيرها على الميثولوجيا. بالنسبة للشعوب الدنيا، الشمس والنجوم والأنهار والرياح والثلوج، تصبح مخلوقات حية، موهوبة بحياة مماثلة لحياة الإنسان أو الحيوانات وتؤدي دورها الخاص في الكون بواسطة الأعضاء، مثل الحيوانات أو أدوات اصطناعية مثل الناس.(Edward B. Tylor , 1920, p. 331-332)

الإحيائية تقود بالضرورة إلى التشخيص الذي يمكن للهمجيين والبربريين أن يمنحوه لظواهر الطبيعية، ففكرة الحياة والإرادة المنتشرة في الطبيعة لها فضل في الاعتقاد وفي روح فردية، تحيي حتى ما نسميه الجسم الجامد. ومذهب تحول الأرواح في الحياة كما بعد الموت، فكرة وجود جماعة من التماثلات التي ليست بالنسبة لنا سوى نتاجات الخيال، كانت بالنسبة للإنسان القديم حقيقة بالنسبة لمن كانوا يرون في عمليات التشخيص (الرعد هو مرور عربة الإله على السماء الصلبة) خصائص حية لم يكونوا بحاجة للمعلمين ليعلموهم قواعد التركيب، طريقة استعمال الاستعارة والعناية التي يجب اتخاذها من أجل إعطاء الصور مظهر الحقيقة. مقارنة الشعراء البطوليين والخطباء القدماء كانت متماثلة، ذلك أنهم كانوا يعتقدون رؤية الصور وسماعها والإحساس بها، ما نسميه شعرا كان بالنسبة لهم حياة حقيقية. (Edward B. Tylor , 1920, p. 346)

إن اللغة من دون شك لها النصيب الكبير في تشكل الأساطير. فمجرد إعطاء بواسطة الكلمات شخصية لأفكار مثل الشتاء والصيف، البرد والحار، الحرب والسلم، الرذيلة والفضيلة قدمت بين يدي صانع الأساطير وسائل لتحويل أفكاره إلى كائنات واقعية. ليس فقط أن اللغة تعمل في اتحاد حميمي مع الخيال الذي تقدم له العبارات التي يستعملها، لكنها تذهب بعيدا وتخلق من ذاتها، بحيث أنه إلى جانب مفاهيم أسطورية حيث أن اللغة كانت هي الموجه، تدرب على التخيل، نتائج هذين العقلين مرتبطة جدا بحيث لا نقدر على فصلها، ولكن يجب التمييز بينهما على قدر المستطاع. يقول تايلور: "بالنسبة لي أنا أميل إلى الاعتقاد (مبتعدا إلى حد ما عن البروفسور ماكس مولر حول هذا الموضوع) أن ميتولوجيا الأعراق الدنيا أساسها الجوهري تماثلات واقعية وواضحة وأن امتداد الاستعارة الشفوية في الأسطورة ينتمي إلى تصور

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

حضارة أكثر تقدما. باختصار أرى أن الأسطورة المادية تكون أولا، وأن الأسطورة الشفهية تكون ثانيا".(Edward B. Tylor , 1920, p. 348) وهكذا بالنسبة لتايلور الأساطير تطابق المرحلة الإحيائية من التفكير الديني. مثل الطفل، الإنسان البدائي شبه الظواهر الطبيعية بالإنسان ومنح روحا أو حقيقة روحية للأشياء الجامدة.

هربرت سبينسر: أما هربرت سبينسر فقد رأى أن أول مصدر أساسي لكل الأديان هو عبادة الأسلاف واعتقد أن أول صور العبادة لم تتجه إلى قوى الطبيعة بل اتجهت إلى عبادة الأموات ولكن إذا أرادنا أن نفهم كيف تحققت النقلة من عبادة الأسلاف إلى عبادة الآلهة في صور أشخاص، فإن علينا أن نفترض فرضا آخر، واعتقد سبينسر أن قوة الكلام وتأثيره الدائم هو الذي جعل تحقق هذه الخطوة أمرا ممكنا، بل وضروريا. فالكلام الإنساني مجازي في صميمه، وزاخر بالتشبيهات والاستعارات، ولا يستطيع العقل البدائي فهم هذه التشبيهات فهما مجازيا، بل يراها حقائق، ويتبع هذا المبدأ في فكره وأفعاله. إن هذا التفسير الحرفي للكلمات المجازية هو الذي أحدث النقلة من الصور الأولى لعبادة الأسلاف، إلى عبادة الكائنات الإنسانية، ثم إلى عبادة النباتات والحيوانات حتى انتهى الأمر إلى عبادة قوى الطبيعة في النهاية. ومن عادة المجتمعات البدائية تسمية أي طفل حديث الولادة بأسماء نباتات وحيوانات ونجوم وأشياء طبيعية أخرى. فيسمي الولد نمرا أو أسدا أو غرابا أو ذئبا ويسمي البنت قمرا أو نجمة. ولم تكن هذه الأسماء في أصلها أكثر من نعوت زخرفية تعبر عن بعض الأوصاف الشخصية التي تنسب إلى البشر. وكان لا مفر من إساءة تفسير هذه الأوصاف المكملة للسماء، نظرا لميل العقل البدائي إلى تفسير كل الكلمات تبعا لمعناها الحرفي، فبمجرد استعمال كلمة "فجر" كاسم حقيقي لأي شخص، أدى ذلك في نظر الهمجي بعقليته اللانقدية إلى تصور وجود هوية بين الشخص وبين لفجر. وتفسير الروايات التي تروي عن الفجر اعتمادا على هذه الهوية، بعد أن أصبحت ظاهرة الفجر أكثر سهولة في فهمها، وفضلا عن ذلك، فعندما يطلق هذا الاسم على بعض المنتمين إلى أية قبائل مجاورة، أو إلى من ينتمون إلى نفس القبيلة وعاشوا في أزمنة مختلفة، فإن هذا يؤدي إلى ظهور تفسيرات متناقضة عن أصل الفجر، أو شيوع روايات مختلفة عنه. ويبدو أن تفسير الأسطورة فيما يرى سبينسر قد تم هنا أيضا على أنها مرض. فلقد جاءت عبادة الأشياء والظواهر التي تدرك في صورة أشخاص نتيجة لبعض الأخطاء اللغوية. (أرنست كاسيرر، 1975، ص 40-41)

روبرتسون سميث:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يعتقد روبرتسون سميت أن "الأسطورة تحتل مكان التعاليم في جميع النظم الدينية القديمة، لكنها غير ذات وازع مقدس أو قوة ملزمة للعابدين بالتالي، فالأسطورة ليست جزءا جوهريا من أجزاء الديانة، والعابد ملزم بأداء الشعيرة. لكنه ملزم بتصديق ما جاء في الأسطورة. الشعيرة ثابتة والأسطورة متغيرة، لذا فإن الدارس الواعي للأساطير عليه بدراسة الشعائر كي يصل إلى تفسيرات للأساطير، فالشعيرة ظهرت أولا، ثم تلاها في الظهور الأسطورة.(عبد المعطي شعراوي، 1982، ص52)

أندو لانغ: أقام أندرو لانغ تمييزا واضحا بين الأسطورة والدين، فالدين ينشأ نتيجة التأمل الروحي الجاد والخضوع الواعي للقوى الماورائية، أما الأسطورة فنتاج خيال عابث أو شارد، وهي زاخرة بالعناصر المتناقضة التي يصعب تفسيرها وقد انتقد مفسري الأسطورة السابقين وقال بأن كل واحد منهم قد فسرها على ضوء عقائد عصره، واختلف مع تايلور حول نشوء فكرة الإله ونفى عنها المبدأ الإحيائي. (خزعل الماجدي، 1998، ص 78)

جيمس فريزر: رأى جيمس فريزر أن الإنسان عندما كان يؤدي طقوس السحر كان يتلو أثناءها بعض العبارات والتعاويذ المكملة لها. وفي مرحلة تالية لذلك حاكى الإنسان هذه الأفعال فكانت الأسطورة، فإذا ما اندثرت طقوس السحر مع الزمن فإن الأسطورة ستظل تحمل مضمونها وإشاراتها، وقد تجلى هذا واضحا في أساطير الخصب والنماء التي اعتبرها أصلا طقوسا سحرية كانت تؤدى في مواسم الجفاف والجدب، ويتم فيها تدخل الساحر والإله لإعادة الخصب. (خزعل الماجدي، 1998، ص 72-73)

المدرسة الوظيفية: يرى مالينوفسكي أن الأسطورة ظهرت نتيجة لحاجات عملية أملتها ظروف الإنسان وإرادته في صنع أو عمل قضية محددة، ولذلك فإن لها وظيفة جعلتها تحتل المكانة التي احتلتها. ولذلك فإن مالينوفسكي ينطلق من السؤال التالي: لماذا الأساطير؟ فإذا كان وجودها عاما فإن وظائفها يجب أن تكون أساسية أو جوهرية.

الوظيفة السيكولوجية (تجاوز التناقضات بتصعيدها) يمكن أن نميز في علم الأساطير بين مستويين: مستوى الوضعيات التمثيلية للصراعات السيكولوجية ومستوى الأبطال الذين تعهد إليهم العناية باختراق التابو الذي يكبلنا، البطل يتمثل إذن كمن يجد المخرج للوضعيات الدراماتيكية، المتبلورة بالافتراضات السيكولوجية. وهذا المفهوم للأسطورة كنموذج منطقي من أجل تناقض ما، دعمه ليفي ستروس وفرويد أيضا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الوظيفة المعرفية: (إعطاء معنى للنظام الموجود من خلال التنسيق) الأسطورة تحتوي على تأمل حاضر حول البيئة الكونية، حول معنى الوجود باعتبار مشاركة الإنسان في عالم منظم حيث ينبغي احترام القواعد وخصوصا تلك المتعلقة بالتضامن الاجتماعي المقدس بواسطة استدعاء أصل الأنظمة. بالتأكيد الأسطورة لا تقدم صورة موضوعية عن العالم، ولكن على الأقل تفسر طريقة الإنسان، ضمن دين ما، التي يفهم بها في عالمه وإعطاء دلالة لأفعاله اليومية.

يقول جاك دورن Jacques Dournes: "البدائي يستعمل الأسطورة كأداة من أجل التحكم في العالم. مع السبب والنتيجة يبدو الموقف العلمي، الذي يطبقه الإنسان على الأسطورة الذي به يعقلنها. "الميثولوجيا هي عقلانية البدائي"، فيما يقول أوندري ماليت (Jacques Dournes, 1968, p35-36)

الوظيفة التربوية: (تقدم مبادئ وأمثلة للتهذيب) باعتبارها بنية وجود تنظم اليومي (الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت أو الأحد) تقدم الأسطورة نموذجا للاتباع بالنسبة لحقيقة متعالية ممتلئة بالإمكانيات. إنها تدل على قواعد للسلوك ينبغي إعادة إنتاجها أو تحيينها، مع أن الكثير من الأساطير لا تتضمن وصفات علمية، عدا المحظورات الجنسية والغذائية، فإنها تقترح مع ذلك أدبيات أخلاقية وتقنية لأنها تقدم في سلوك الآلهة، والأجداد البعيدين والأبطال المدنيين أمثلة ترشد المعيش أو نماذج مثالية تفسر لماذا كانت الأشياء على ما هي عليه.

الوظيفة السوسيو–سياسية، (تشريع السلطات والتنظيم الاجتماعي) بينما يرى مالينوفسكي في الأسطورة الميثاق الأخلاقي لجماعة ما، يؤكد جورج بالونديي دورها في تحديد التدرج الطبقي والسلطة. (Claude R iviere, 1997, p. 60-61)

المدرسة البنيوية:

تحتل دراسة الأسطورة مكانة مهمة في أعمال كلود ليفي– ستروس، وكان لها سحرها الخاص في "الفكر البري" والطوطمية اليوم، وأسطوريات وغيرها.

وقد تناول ليفي–ستروس الأساطير في المجتمعات بلا تاريخ تلافيا لمشكل العلاقة بين الأسطورة والتاريخ.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأسطورة عنده لا موقع لها في التسلسل الزمني، بل تشترك مع الأحلام والحكايات الخرافية بخصائص معينة، من أهمها غياب التمييز بين الطبيعة والثقافة الذي يحكم التجربة البشرية . ففي الأسطورة يتحادث البشر مع الحيوانات أو يتزوجون منهم، ويعيشون في البر أو السماء، ويقومون بخوارق وأعمال سحرية تبدو وكأنها أفعال طبيعية تماما. وما يهتم به ليفي–ستروس في تناوله الأسطورة، كما في تناوله أي موضوع آخر، هو ما تتميز به الظواهر الجمعية من طبيعة لاواعية. فهو يسعى مثل فرويد إلى كشف المبادئ التي تحكم تشكل الفكر وتسري على كل العقول البشرية حيثما وجدت. فهذه المبادئ الكونية تفعل فعلها في أدمغتنا كما في أدمغة هنود أمريكا الجنوبية، لكن التثقيف الذي تلقيناه من خلال العيش في مجتمع متطور تقنيا ومن خلال المدرسة أو الجامعة غطى على المنطق الكوني الذي يميز التفكير البدائي بكل صنوف المنطق الخاصة التي اقتضتها شروط بيئتنا الاجتماعية. ولكي نفهم هذا المنطق الكوني البدائي، بصورته النقية لابد من تفحص عمليات التفكير لدى الشعوب المغرقة في بدائيتها، وغير المتطورة تقنيا، وتشكل دراسة الأسطورة إحدى الوسائل لتحقيق هذه الغاية. هكذا فإن هناك منطقا ضمنيا لاعقلانيا تتقاسمه البشرية جميعها ويتجلى في الأساطير البدائية. إن وراء المعنى الظاهر في الأسطورة هناك معنى آخر. إن الأسطورة بهذا المعنى هي نوع من الحكم الجمعي الذي يمكن تفسيره بحيث يتكشف عن معناه الدفين، تماما مثل الحلم الذي اهتم به فرويد وميز فيه بين المعنى الظاهر والمعنى الكامن الذي نصل إليه عن طريق التحليل النفسي.

ونتبين من ذلك أن المصادر التي اعتمدها ليفي–ستروس في دراسته للأسطورة تتمثل في التحليل النفسي الذي يرى في الأساطير تعبيرا عن رغبات لاواعية لا تتوافق مع التجربة الواعية.

والمصدر الثاني فهو نظرية المعلومات العامة. فالأسطورة بالنسبة له ليست مجرد حكاية خرافية، وإنما هي تنطوي على رسالة أيضا.

حلل ليفي–ستروس في المجلدات الأربعة من الأسطوريات (813) أسطورة على مدى 2000 من الصفحات. والمنهج البنيوي الذي مارسه ليفي–ستروس في تحليل الأساطير يقوم على تفتيت الأسطورة (أية أسطورة) إلى أجزاء أو حوادث، وهي حوادث تشير في كل حالة أو مثال إلى العلاقات بين الشخصيات الفردية في الأسطورة، أو إلى المقام الذي يحتله أفراد محددون. وهذه العلاقات والمقامات هي النقاط التي ينبغي أن نركز عليها اهتمامنا، أما الشخصيات الفردية فغالبا ما يمكن استبدال إحداها بالأخرى.(إدموند ليش، 2010)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن الأسطورة عند ليفي ستروس تشير دائما إلى النمط الذي تصفه يكون بلا زمن، فهو تفسير الحاضر والماضي والمستقبل، وجوهر الأسطورة لا يكمن في أسلوبها أو موسيقاها أو في بنتها ولكن في القصة التي تحكيها. ويؤكد ليفي- ستروس دائما أن تحليل الأسطورة يتجاوز تحليل مسمياتها أو مضمونها أو حدودها، وأنه يركز على الكشف عن العلاقات التي توجد بين كل الأساطير، ولقد أصبحت هذه العلاقات موضوعات أساسية في تحليله البنيوي الذي استهدف الكشف عن الأبنية الموحدة لهذه الأساطير، وهو يرى أن هذه الأبنية الموحدة تتجلى خلال عملية تحليل الأسطورة بالكيفية التي ينبثق بها الفكر اللاواعي في الوعي، خلال عملية التحليل النفسي ولذلك يغدو الكشف عن هذه الأبنية نوعا من أنواع التحليل النفسي.(شاكر عبد الحميد، 1986، ص 5-6)

لقد جمع ليفي-ستروس في كتابه "الأسطوريات" عددا كبيرا من الأساطير من أماكن متباعدة من أمريكا والمناطق المدارية، ورغم أن هذه الأساطير تنتمي إلى أنساق أسطورية عديدة فإنها مترابطة، وتشير إلى وقائع يزعم أنها حدثت منذ زمن بعيد. لكن ما يعطي الأسطورة قيمتها العلمية هو أن النمو الخاص الذي تصفه يكون غير ذي زمن محدود، إنها تفسر الحاضر والماضي والمستقبل.

إن الأسطورة تشتمل على الزمن القابل للإعادة وأيضا الزمن غير القابل للإعادة، ولغتها لها خصائص التزامن والتتابع التي أكدها دي سوسير، إن نص الأسطورة يمكن تمثيله في ضوء ذلك كما يلي: الزمن القابل للإعادة = الزمن البنيوي= اللغة= التزامن. الزمن غير القابل للإعادة= الزمن الإحصائي= الكلام= التتابع. والأسطورة تشتمل على هذين الزمنيين وتتضمن هاتين الخاصيتين المتعارضتين فكل أسطورة يمكن أن يوجد زمنها الخاص على بعد التزامن-التتابع. ومن ثم فهي تمتلك خاصية اللغة (التزامن) وخاصية لكلام (التتابع).

إضافة إلى ما سبق يؤكد ليفي ستروس أن الأسطورة تشتمل على مرجع زمني ثالث يضم خصائص تشير دائما إلى وقائع يزعم أنها حدثت منذ زمن بعيد، لكن يمكن اعتبارها جسدا واحدا. والروابط الداخلية بين الأساطير ذات أهمية كبيرة، إنها علاقات منفعية تم تكوينها بين وحدات مكونة لقصص مختلفة، وقد استخدم ليفي-ستروس بعض المصطلحات لوصف هذه العلاقات بين الوحدات الأسطورية مثل التماثل والعكس والتكافؤ والوحدة والتطابق والتشاكل وغيرها، إن الأساطير قد تزود الإنسان بصورة كلية عن العالم الذي يعيش في أي بنماذج منطقية تكون قادرة على قهر التناقضات التي يواجهها في الواقع.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بالعودة إلى مؤلفات ليفي–ستروس نجده يحلل أمثلة حية من الأساطير القديمة، المتعلقة بأصل المطبخ أو بقانون تحريم ارتكاب المحرّم، أو بأنظمة القرابة ونظرية تبادل النساء الموسعة. وسوف نرى أن ليفي ستروس يلجأ دائما إلى استقصاء أنماطه من الألسنية، وعلم الأحياء والمنطق، والرياضيات، وسائر العلوم الصحيحة.(أحمد ديب شعبو، 2006، ص 304)

وفي ختام المقاربة الستروسية للأسطورة يكمن الإشارة إلى المسلمات التي أقام عليها ليفي–ستروس منهجه: 1)–إذا كانت الأساطير لها معنى، فهذا المعنى لا يمكن أن يستخلص من العناصر التي تدخل في تكوينها، ولكن من الطريقة التي تترابط بها هذه العناصر.

2)– الأسطورة تقوم على نظام اللغة، وتجعل منه جزء متمما، مع ذلك، اللغة كما تستعمل في الأسطورة، تظهر خصائص خاصة.

3)– هذه الخصائص لا يمكن أن تبحث إلا فوق المستوى العادي للعبارة اللسانية، بعبارة أخرى، إن لها طبيعة أكثر تعقيدا من تلك التي نحكيها في عبارة لسانية من أي نمط كانت.

المدرسة النفسية: تضم هذه المدرسة عدة اتجاهات ورائدها سيجموند فرويد، الذي كان يرى تشابها كبيرًا بين الحلم والأسطورة، خصوصا في آليات تكونها ورموزها، فالحلم أسطورة فردية يصنعها الإنسان في نومه عندما يتحرر لاشعوره ويطفو على السطح، والأسطورة كذلك، ولذلك فإن الحلم والأسطورة مشحوان بالرموز، وعلى دارس الأسطورة القيام بالدور ذاته الذي يقوم به المحلل النفسي للحلم، ولأن الحلم يكشف عن أعماق الفرد الحالم ورغباته اللاشعورية ومكوناته، فإن الأسطورة كذلك تقوم بالكشف عن أعماق منتجها ودوافعه اللاشعورية ومكبوتاته وقواه العميقة.

أما يونغ الذي جعل الأسطورة ركنا أساسيا من أركان مدرسته النفسية فيختلف عن فرويد في أن الأسطورة عنده تناظر الحلم الجماعي اللاشعوري وليس الحلم الفردي، ولذلك يرى يونغ أن الأساطير نصوص حلمية لاشعورية للمجتمعات القديمة، ويقوم بتحليلها نفسيا للكشف عن الرموز الإنسانية المشتركة التي مازالت تلعب دورًا خفيا في تحريك حياة الإنسان فردًا أو جماعة على السواء.

أما إريك فروم فيرى أن الأسطورة صراع بين النظام الأمومي والنظام الأبوي، فالأساطير في النهاية هي نصوص صراع نفسي بين الأم والأب في أعماق الكائن البشري أو الجماعة البشرية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المراجع

1-إلياد مرسيا ، 1991**مظاهر الأسطورة**، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق-سوريا، ط1.

2-إلياد ميرسيا ، 2004**الأساطير والأحلام والأسرار**، تر: حسيب كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.

3-السواح فراح ، 1997**الأسطورة والمعنى**، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1.

4-شعبو أحمد ديب ، 2006**في نقد الفكر الأسطوري والرمزي**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط.

5-شعراوي عبد المعطي ، 1982**أساطير إغريقية**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

6-ريفيير كلود ، 2015**الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان**، تر: أسامة نبيل، المركز القومي للترجمة، ط1.

7-عبد الحميد شاكر ، 1986**مقدمة حول الأسطورة والتشاكل لدى ليفي ستروس**، في كلود ليفي ستروس، الأسطورة والمعنى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

8-كاسيرر أرنست ، 1975**الدولة والأسطورة**، تر: أحمد حمري محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة.

9-ليتش إدموند ، 2010**كلود ليفي ستروس. دراسة فكرية** تر. ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

10-الماجدي خزعل ، 1998**بخور الآلهة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

11- Caillois Roger, 1938**Le mythe et l'homme**, Gallimard.

12-Dournes Jacques, 1968**L'homme et son mythe**, Aubier-Montaigne, Paris.

13-Riviere Claude, 1997Socio-Anthropologie des religions, Armond Colin, Paris..

14-Tylor Edward B., 1920La civilisation primitive, Alfred Cortes Editeur, Paris.